الاسلام (والأتيكيت)

الأتيكيت أو الآداب العامة

دراســـة وتحليل

للانسة زينب الحكيم

نصت الشرائع السماويةُ كلها ، على مراعاة الآداب العامة في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية . وإذا أنا اخترت أن أبين نسبةَ آداب الفرنجة إلى الآداب الشرقية وعلى الأخص الإسلامية منها ، فما ذلك إلا لشدة الشبه بين هذه وتلك ، ولأن في الإسلام وهو دين الاجتماع والتشريع الإنساني الرفيع — مالو عرفناه وعملنا به — لما احتجنا إلى التقليد والنقل ، مما تضيع معه قوميتنا الشرقية ، وتتلاشى به شخصيتنا المصرية

ولقد اطلعت على كتب كثيرة شرقية وأجنبية في هذا الصدد حتى كوّنتُ فكرةً تحليلية عن الآداب العامة ونشأتها

فجمل الكتب الشرقية (الإسلامية على الأخص) تشير إلى أنه من الواجب على الإنسان كفرد ، وعلى الأمة كجماعة ، أن تقوم بواجب الآداب العامة نحو الخالق الذي أوجدها سبحانه وتعالى ؛ فتقر بفضله تعالى عليها — وتعتبر هذه أول خطوة في الآداب — ثم المحافظة على ما ورثته من نظم ، وأن تتبع هذه النظم ، وتسير على مهل في سبيل الانتقال بها من طور إلى طور أكمل منه في غير اهتزاز وعنف . كل هذا يكوّن الميراث التقليدي الأدبي ، ونكون قد تدرجنا على شبه ما تدرج بالبرية موجدُها الأعلى من مهدها ومن زمنها الأول إلى الآن

والأديان السماوية أدل شيء على هذا التدرج المعتدل ، فإن من يترسم خطى هذه الأديان ، يلحظ سمة الطفولة على التوراة ،

يشتهي الثغر لثمها وهي صخر ... ويذوب الفؤاد فيها هياما
هِمْتُ فيها فقلت هزواً بنفسي ... أيّ صبٍّ قبلي أحبَّ الرَّكاما
عاريات مثل الملائك لم يسـدلن ستراً ولا وضمن لثاما
تخذت عفة النفوس رداء ... وسنا الحسن في الجبين وساما
لم تشوّه بالصبغ يوماً وجوهاً ... جعل الحسن عندهن مقاما
هنّ مهما شاب الزمان صبايا ... راميات بلحظهنّ سهاما !
وشجتني منهن هيفاء خود ... سامها الحظ دونهن اهتضاما !
شوّه الدهر ثديها بانكسار ... قبل أن يبلغ الرضيع الفطاما
فرنت نحو صحبها بانكساف ... خوف نقص يعزى إليها اتهاما
وتمنّتْ لو اكتسين جميعاً ... برداء ليستر الأجساما !
ورأيت الضرغام فارتعت منه ... أيُّ قلب لا يرهب الضرغاما ؟
مُغلياً صحته المهيب زئيراً ... ساكناً خضرة السما آجاما

أسد الغاب خلته احتلّ (برج الأسد) اليوم ، واعتلى الأجراما
فاتح الطرف ، كاشر الناب ، يبغي أن يخيف القضا إذا ثمّ حاما
نصبوه في الجوّ حامي عرين ... يقظ الطرف ، لا يحب المناما
ظلّ في الجو حارساً لحماه ... ومخيناً وحش الدجا والطغاما
قام أسد الحمى وظل منيعاً ... لا يذوق الرّقاد حتى لماما
وشجتني فيها مسارح لهو ... وفنون تنوّر الأفهاما
كم عَلَتْ فوق ساحها خطباء ... وغوان ترجّع الأنغاما
أقفرت تلكم المسارح منهم ... واستحالت ساحاتها آكاما
إنّ أطلالَ بعلبك كتابٌ ... قد حلا مبدأً وطاب ختاما
فيه تبدو طلاسم أنا مهما ... رمت جَلاًّ لها تزد إبهاما
صار فيها وهي تخلت بأنّي ... كنت فيها أجتم الأوهاما !

(دمشق)

احمد الصافي النجفي

ويرى سذاجة الفطرة والتضحية فى الإنجيل ، ويميز انسام القرآن بسمة الرشد ؛ ويرى الخروج البطلى الذى يتعهد عبيد الإنسان للسير فى الحياة وقد هُيئ له من أمره رشد

ولهذا فإن قائد الأمم أخلاقها وطباعها ، والحاجة والزمان هما الكفيلان بإعداد النظم الجديدة ، وأخلاق الأمة هى التى تحكمها . فكل نظام أو تشريع لا يتفق مع هذه الأخلاق ويمتزج بها امتزاجاً تاماً ، يكون نظاماً مؤقتاً وتشريعاً لا يدوم طويلا

ومما يجب التنبه له أن البيئة والأحوال والحوادث ، تدل دلالة واضحة على مقتضيات الزمن الذى هى فيه ... فلو نظرنا إلى التقاليد فى أى زمن ، ولأى أمة ، وجدناها عبارة عن ماضى الأمة فى حاجاتها ومشاعرها وأفكارها

فالتقاليد إذن : عوامل تشخص روح الشعب والحقبة التى وجد فيها لما لها من تأثير عظيم فى القوم

فإذا بحثنا مثلاً فى ضرورة احتياجنا إلى تقاليد فى الآداب العامة (أتيكيت) من نواح كثيرة تساءلنا :

١ — لماذا نلاحظ قوانين واصطلاحات خاصة ؟

٢ — لماذا يحيى الناس بعضهم بعضاً ، بشتى الطرق مثل الانحناء ، والابتسام ، والسلام باليد ، ورفع غطاء الرأس ألخ ؟

٣ — لماذا نقوم بعمل تعارف بين الأفراد ، وترسل الدعوات بعضنا لبعض ؟

٤ — لماذا نهذب طباعنا وحديثنا ؟

لكى نستطيع الإجابة على أشباه هذه الأمثلة ، يجب أن نتتبع سير المدنية من مبدئها ؛ فإذا فعلنا ذلك ، وجدنا أنه كان من أولى ضروريات الإنسان الهمجى تدبيرُ بعض الطرق ، واختراع بعض الوسائط التى تقنع الهمج من قبائل أخرى بأنه لا يريد المشاجرة ، ولا الاعتداء ، وإنه يريد أن يعيش فى سلام .

ولكن كان من الصعب عليه جداً أن يفعل ذلك مبدئياً . فقد كان تفكيره المحدود مرتبكاً بالخوف وبوعورة الحياة . إذ أن الإنسان فى تلك العصور الأولى كان دائم الارتياب ، شديد التطير ، كثير الظن ؛ وقد كان مضطراً إلى أن يكون كذلك ، لأن حياته كانت متوقفة على حذقه وحرصه

ولكن الحاجة أم الاختراع دائماً . فأقيمت علامات خاصة ، ووضعت أشياء أخذ غيرها الهمج ، وتعارفوا عليها كتحيات سلام وأمان

فتحية اليوم نتيجة مباشرة لتلك الضرورة الغابرة ، ويقاس عليها كثير من التقاليد المتبعة . فإن تحية الأمان هذه كانت أول المخلفات من الآداب العامة التى نطق بها بين الإخوان والمريدين

ولما عرفت قيمة هذه الشعائر السلمية ، اتبعت تحايا خاصة لكل ظرف ولكل مناسبة مما ساعد على وضع الأمور فى نصابها بأقل مشقة ، وبأخص طريق ، فساد السلام نوعا ما ، وأخذت العواطف الإنسانية تقوى (ومن هنا بدأ عهد جديد فى تطور البشرية) .

فإذا أودعت هذه الشعائر خفايا النسيان ، وأسدل عليها ستائر الإهمال كان الغرض استئناف حياة الهمج من جديد .

على أنه لن يكون فى استطاعتنا وأدْ الآداب دفعة واحدة وهى التى تكونت على مر الدهور ، ولا يمكن أن ينكر أحد أن البشرية نشأت ونمت معها المدنية ، فمن تحية الأمان الأولى ، نمت سلسلة تحايا خاصة ، وأشكال احترام خاصة جمعت الرجال تحت لواء حماية متبادلة ، وصداقة مشتركة ، فتولدت الحفلات ، وحلقات الرقص لتعظيم القوى الطبيعية التى حار العقل البشرى فى فهمها حينئذ ، كالشمس والنجوم ، وقدمت الضحايا لآلهة الخوف التى أزعجتهم ، كالظلام ، والوحوش ، والأصوات غير المعهودة لهم ، كما أقيمت حفلات تأبين الموتى ، وولائم الأفراح ، وغير ذلك .

من ذلك نرى ، أن الهيئة الاجتماعية حريصة على سلامتها ، فهى لذلك أقامت تشريعاً اجتماعيا محدودا واضحا ، مبنياً على الأخلاق والعادات ، فأصبحت هذه التقاليد تشريعاً ارتآه ، وعمل به نفر ممن تفخر بوجودهم فى زمرتها الجماعة الإنسانية المثقفة الراقية .

فنحن ملزمون إذن أن نتعلم هذه التقاليد رغبنا أو كرهنا ما دمنا نعيش فى جماعات ، وننشد مجتمعاً راقياً فى حياتنا

مما لا ريب فيه أنه توجد عند كل إنسان رغبة للخير ، وإن جانب الخير فى الإنسانية توقظه وتظهره الرحمة والآداب والأخلاق الكريمة بوجه عام . كما أن المران على (الإتيكيت) أو الآداب

العامة يحتاج إلى أكثر من مجرد استقاء معلومات من معاهد التقاليد الاجتماعية الخاصة بالأخذ والعطاء ، والقبول والرفض ، والدعوات والولائم ، أو عدد البطاقات التي تترك للآخرين بالمناسبات ، أو استعمال الألقاب على وجه صحيح في التحدث وللمكاتبة . فإن التمرن العملي على (الإتيكيت) يجب أن يبنى على المبادئ الأولية ، وهي الاحترام ، ومشاعر الرحمة والشفقة نحو الآخرين ، وإلا كانت التقاليد مجاملات جوفاء وهذه لا تلبث أن تزول

وإن أميز ما يمتاز به الرجل الملم بمعرفة الآداب (العامة والخاصة) ما يتسم به من وقار وسماحة يغمر من يقابله ، كما يساعده على العمل والقول اللائق الصحيح في كل موقف من المواقف . فالفرد الذي يعرف كيف يوجد بين جماعة راقية ، لا يدع مجالاً للغضب ولا لعدم الصبر ، ولا يتسيطر ولا يتحكم ولا يضغط على الآخرين بطباعه الجافة

إن مراكز الآداب الراقية ، يمنع التبجح مع الرؤساء ، كما يمنع الأحاديث التي تؤلم المشاعر ، ويحبذ العمل على إيجاد رغبة صادقة في جلب السرور لمن نوجد معهم . فالمرأة والرجل المثقفان يجتهدان في جعل كل فرد في مجتمعهما سعيداً مطمئناً (على شرط أن يستأهل هو ذلك أيضاً من جانبه) . ثم إن مشاركة عواطف الغير واحترامهم مفروض على كل فرد مهما كان نوعه ، وذلك واجب عليه سواء أكان غنيًّا أم فقيراً، عالماً أم جاهلاً . ومع أن الأخلاق الرقيقة قد تكون وراثية إلى حد ما ، فإنه يمكن تحسينها وإنماؤها بوساطة البيئة الصحيحة ، وبدراسة القوانين الاجتماعية ومراقبة المجتمع نفسه ، وتطبيق ما حصله الإنسان في معاهد الآداب عمليا في الحياة العملية حتى يجني المجتمع ثمار عمل أفراده وبُناته

لعلنا بهذا التلخيص نكون قد أوضحنا بعض الشيء نشأة الإتيكيت وضرورته في الحياة .

زينب الحكيم

إذا اشتريت سيارة أخرى خلاف باكار ، تجازف بأنها تصبح « مودة قديمة » بعد بضعة أشهر .

لاتجازف ـ فان أكتوبر يقترب !

والموديلات الجديدة لجميع الماركات لن تلبث حتى تغزو شوارع القاهرة

إستعرض موديلات السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة لأية ماركة من ماركات السيارات خلاف باكار تر ما يدهشك ! ستجد من العسير عليك أن تصدق بأن هذه الموديلات لسيارة واحدة !

ومن الذي يدفع من ثمن هذا الاندفاع الجنوني نحو التغيير والتبديل والمسخ إن لم يكن الزبون الطيب القلب الذي يضطر اضطرارا إلى اقتناء كل موديل جديد وإلا ظهر بمظهر غير عصري ؟ !

والآن عليك أن تختار بين سيارة جديدة تقدم « مودتها » بعد ٦ أشهر وبين باكار التي تعد مثلا أعلى للمودة في كل عصر وفي كل أوان

مادمت تستطيع شراء سيارة

فأنت تستطيع شـــــراء

باكار

القاهرة : ٢٨ شارع سليمان باشا الإسكندرية : ١٥ شارع فؤاد الأول بور سعيد : ١ شارع فؤاد الأول